The Word for Today	الكَلِمَة لِهَذا اليَوم
John 9:18–10:10	إنجيل يوحنَّا 9: 18 – 10: 10
wt_us03_0250_c25	الحلقة الإذاعيَّة رقم: 136
Pastor Chuck Smith	الرَّاعي تشَكْ سميث

[المُقَدِّمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

أهْلًا وَمَرْحَبًا بِكَ صَديقي المُستَمِع في حَلْقَةٍ جَديدَةٍ مِنَ البَرْنامَجِ الإذاعيِّ ''الكَلِمَة لِهَذا اليَوم'' حَيْثُ سَنُصْغي إلى تَفْسيرٍ لآياتٍ مِنْ إنْجيلِ يُوحَنَّا على فَمِ الرَّاعي ''تشك سميث''.

[المُقَدِّمة]
(الرَّاعي ''تْشَكْ سميث'')

هَلْ يَسْمَعُ اللهُ العَلِيُّ صَلَواتِ الخُطاة؟ إذا لَمْ تَكُنْ تُؤمِنُ بِذَلِكَ، فَكَيْفَ نِلْتَ الخَلاصَ؟ فَلَوْ أنَّ اللهَ لا يَسْمَعُ صَلاةَ الخُطاةِ، لَما خَلُصَ إنْسانٌ البَتَّة!

(مُقَدِّم البَرنامَج)

إنَّ أعْمَقَ الحَقائِقِ في الوُجودِ لا تَحْتاجُ في أغْلَبِ الأحيانِ إلَّا إلى شَرْحٍ بَسيطٍ جِدًّا لِفَهْمِها. وَهَذِهِ هِيَ الحَالُ عِنْدَما نَتَحَدَّثُ عَنْ الفِداءِ مِنَ الخَطِيَّة. فَلا يُمْكِنُ لأيِّ إنْسانٍ أنْ يَنالَ الخَلاصَ إلَّا إذا جَاءَ إلى عَرْشِ اللهِ كَإنْسانٍ نَادِمٍ عَنْ خَطاياه! وَفي هَذِهِ الحَلْقَةِ مِنَ ''الكَلِمَة لِهَذا اليوم'' سَوْفَ يُسَلِّطُ الرَّاعي ''تشك سميث'' الضَّوْءَ على هَذا الحَقِّ الثَّمين مِنْ خِلالِ قِصَّةِ الرَّجُلِ الذي شَفاهُ يَسوعُ مِنْ عَمَى رافَقَهُ مُنْذُ وِلادَتِه.

والآنْ، أتْرُكُكُمْ أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعين مَع دَرْسٍ جَديدٍ مِنَ إنجيلِ يُوحَنَّا بَدْءًا بالأصْحاحِ التَّاسِعِ وَالعَدَد 18؛ دَرْسًا أعَدَّهُ لَنا الرَّاعي ''تشك سميث'':

[العِظَة]
(الرَّاعي ''تْشَكْ سميث'')

كُنَّا قَدْ تَحَدَّثْنا في الحَلْقَةِ السَّابِقَةِ عَنْ مُعْجِزَةِ شِفاءِ الرَّجُلِ الأعْمى مُنْذُ وِلادَتِه. وَالآنْ، لِنُتابِعْ مَعًا مَا حَدَثَ مَعَ هَذا الرَّجُلِ بَعْدَ شِفائِهِ. فَنَحْنُ قَرَأْ في إنْجيلِ يُوحَنَّا 9: 18 34:

فَلَمْ يُصَدِّقِ الْيَهُودُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ أَعْمَى فَأَبْصَرَ حَتَّى دَعَوْا أَبَوَيِ الَّذِي أَبْصَرَ.
فَسَأَلُوهُمَا قَائِلِينَ: «أَهذَا ابْنُكُمَا الَّذِي تَقُولاَنِ إِنَّهُ وُلِدَ أَعْمَى؟ فَكَيْفَ يُبْصِرُ الآنَ؟»
أَجَابَهُمْ أَبَوَاهُ وَقَالاَ: «نَعْلَمُ أَنَّ هذَا ابْنُنَا، وَأَنَّهُ وُلِدَ أَعْمَى. وَأَمَّا كَيْفَ يُبْصِرُ الآنَ
فَلاَ نَعْلَمُ. أَوْ مَنْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ فَلاَ نَعْلَمُ. هُوَ كَامِلُ السِّنِّ. اسْأَلُوهُ فَهُوَ يَتَكَلَّمُ عَنْ

نَفْسِهِ». قَالَ أَبَوَاهُ هذَا لأَنَّهُمَا كَانَا يَخَافَانِ مِنَ الْيَهُودِ، لأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا قَدْ تَعَاهَدُوا أَنَّهُ إِنِ اعْتَرَفَ أَحَدٌ بِأَنَّهُ الْمَسِيحُ يُخْرَجُ مِنَ الْمَجْمَعِ. لِذلِكَ قَالَ أَبَوَاهُ: «إِنَّهُ كَامِلُ السِّنِّ، اسْأَلُوهُ». فَدَعَوْا ثَانِيَةً الإِنْسَانَ الَّذِي كَانَ أَعْمَى، وَقَالُوا لَهُ: «أَعْطِ مَجْدًا لِلهِ. نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ هذَا الإِنْسَانَ خَاطِئٌ» (وَالحَديثُ هُنا هُوَ عَنْ يَسوع). **فَأَجَابَ ذَاكَ وَقَالَ: «أَخَاطِئٌ هُوَ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ. إِنَّمَا أَعْلَمُ شَيْئًا وَاحِدًا: أَنِّي كُنْتُ أَعْمَى وَالآنَ أُبْصِرُ». فَقَالُوا لَهُ أَيْضًا: «مَاذَا صَنَعَ بِكَ؟ كَيْفَ فَتَحَ عَيْنَيْكَ؟» أَجَابَهُمْ: «قَدْ قُلْتُ لَكُمْ وَلَمْ تَسْمَعُوا. لِمَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ تَسْمَعُوا أَيْضًا؟ أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَصِيرُوا لَهُ تَلاَمِيذَ؟» فَشَتَمُوهُ وَقَالُوا: «أَنْتَ تِلْمِيذُ ذَاكَ، وَأَمَّا نَحْنُ فَإِنَّنَا تَلاَمِيذُ مُوسَى. نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ مُوسَى كَلَّمَهُ اللهُ، وَأَمَّا هذَا فَمَا نَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ هُوَ». أَجَابَ الرَّجُلُ وَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ فِي هذَا عَجَبًا! إِنَّكُمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ هُوَ، وَقَدْ فَتَحَ عَيْنَيَّ. وَنَعْلَمُ أَنَّ اللهَ لاَ يَسْمَعُ لِلْخُطَاةِ. وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَتَّقِي اللهَ وَيَفْعَلُ مَشِيئَتَهُ، فَلِهذَا يَسْمَعُ. مُنْذُ الدَّهْرِ لَمْ يُسْمَعْ أَنَّ أَحَدًا فَتَحَ عَيْنَيْ مَوْلُودٍ أَعْمَى. لَوْ لَمْ يَكُنْ هذَا مِنَ اللهِ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا». أَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ: «فِي الْخَطَايَا وُلِدْتَ أَنْتَ بِجُمْلَتِكَ، وَأَنْتَ تُعَلِّمُنَا!» فَأَخْرَجُوهُ خَارِجًا.**

نُلاحِظُ هُنا أنَّ الفَرِّيسيِّينَ اقتَرَضوا أنَّ مَا قالَهُ يَسوعُ بِشَأنِ الرَّجُلِ المُوْلودِ أعْمى لَمْ يَكُنْ صَحيحًا. لِذَلِكَ فَقَدْ قَالوا لِذَلِكَ الرَّجُل: ''**فِي الْخَطَايَا وُلِدْتَ أَنْتَ بِجُمْلَتِكَ**''. لَكِنْ عِنْدَما سَألَ التَّلاميذُ يَسوعَ: ''**يَا مُعَلِّمُ، مَنْ أَخْطَأَ: هذَا أَمْ أَبَوَاهُ حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى؟**'' أجابَهُمْ يَسوعُ قائِلًا: ''**لاَ هذَا أَخْطَأَ وَلاَ أَبَوَاهُ، لكِنْ لِتَظْهَرَ أَعْمَالُ اللهِ فِيهِ**''.

أمَّا الفَرِّيسيُّونَ فَقَدْ طَرَدوا ذَلِكَ الرَّجُلِ مِنَ المَجْمَع. ثُمَّ نَقْرَأُ في الأعداد 35 37:

فَسَمِعَ يَسُوعُ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوهُ خَارِجًا، فَوَجَدَهُ وَقَالَ لَهُ: «أَتُؤْمِنُ بِابْنِ اللهِ؟» أَجَابَ ذَاكَ وَقَالَ: «مَنْ هُوَ يَا سَيِّدُ لأُومِنَ بِهِ؟» فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «قَدْ رَأَيْتَهُ، وَالَّذِي يَتَكَلَّمُ مَعَكَ هُوَ هُوَ!»

وَلا شَكَّ أنَّ هَذا الحِوارَ يُذَكِّرُنا بالحَديثِ الذي دَارَ بَيْنَ يَسوعَ وَالمَرأةِ السَّامِرِيَّةِ عِنْدَ البِئْرِ في الأصْحاحِ الرَّابعِ مِنْ إنْجيلِ يُوحَنَّا. فَقَدْ قالَتْ لِيَسوعَ: ''**أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ مَسِيَّا، الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمَسِيحُ، يَأْتِي. فَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُخْبِرُنَا بِكُلِّ شَيْءٍ**''. فَقالَ لَها يَسوعُ: ''**أَنَا الَّذِي أُكَلِّمُكِ هُوَ**''. ونَقْرَأُ هُنا أيْضًا أنَّ يَسوعَ سَألَ الرَّجُلَ الذي نَالَ الشِّفاءَ المُعْجِزِيَّ: ''**أَتُؤْمِنُ بِابْنِ اللهِ؟**'' أجَابَ ذَاكَ وَقَالَ: ''**مَنْ هُوَ يَا سَيِّدُ لأُومِنَ بِهِ؟**'' فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: ''**قَدْ رَأَيْتَهُ، وَالَّذِي يَتَكَلَّمُ مَعَكَ هُوَ هُوَ!**''

ثُمَّ نَقْرَأُ في العَدَدَيْن 38 و 39:

فَقَالَ: «أُومِنُ يَا سَيِّدُ!». وَسَجَدَ لَهُ. فَقَالَ يَسُوعُ: «لِدَيْنُونَةٍ أَتَيْتُ أَنَا إِلَى هذَا الْعَالَمِ، حَتَّى يُبْصِرَ الَّذِينَ لاَ يُبْصِرُونَ وَيَعْمَى الَّذِينَ يُبْصِرُونَ».

وَيا لَهُ مِنْ مَشْهَدٍ رائِعٍ وَمُؤثِّرٍ حَقًّا! فَمَعَ أنَّ رِجالَ الدِّيْنِ اليَهوديِّ قَدْ طرَدوا هَذا الرَّجُلَ مِنَ المَجْمَعَ لأنَّهُ نَطقَ بالحَقِّ وَقالَ الصِّدْقَ، فَإنَّ يَسوعَ وَجَدَهُ وَقَبِلَهُ.

ثُمَّ نَقْرَأُ في العَدَدَيْن 40 و 41:

فَسَمِعَ هذَا الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ، وَقَالُوا لَهُ: «أَلَعَلَّنَا نَحْنُ أَيْضًا عُمْيَانٌ؟» قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لَوْ كُنْتُمْ عُمْيَانًا لَمَا كَانَتْ لَكُمْ خَطِيَّةٌ. وَلكِنِ الآنَ تَقُولُونَ إِنَّنَا نُبْصِرُ، فَخَطِيَّتُكُمْ بَاقِيَةٌ.

لَقَدِ ادَّعى الفَرِّيسيُّونَ أنَّهُمْ مُبْصِرونَ، وَأنَّهُمْ يَفْهَمونَ الأسْفارَ المُقَدَّسَةَ جَيِّدًا. لكِنَّهُمْ كَانُوا يَرْفُضونَ أنْ يَرَوْا. وَفي الحَقيقَةِ أنَّهُ لا يُوْجَدُ مَنْ هُوَ أكْثَرُ عَمًى مِنَ الشَّخْصِ الذي يَرْفُضُ بإصْرارٍ وَعِنادٍ أنْ يَرى. لِذَلِكَ فَقَدْ قالَ لَهُمْ يَسوعُ: **''لَوْ كُنْتُمْ عُمْيَانًا لَمَا كَانَتْ لَكُمْ خَطِيَّةٌ. وَلكِنِ الآنَ تَقُولُونَ إِنَّنَا نُبْصِرُ، فَخَطِيَّتُكُمْ بَاقِيَةٌ''**. فَالإنْسانُ مَسؤولٌ عَنِ المَعْرِفَةِ التي يَمْتَلِكُها. وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ هِيَ مُشْكِلَةُ الفَرِّيسيِّين. فَمَعَ أنَّهُمْ كانُوا أصْحابَ مَعْرِفَةٍ، وَيَرَوْنَ النُّورَ، فَقَدْ أصَرُّوا عَلى عَدَمِ السُّلوكِ في النُّور.

وَالآنْ، لِنُتابِعْ، عَزيزي المُسْتَمِع، مَا قَالَهُ يَسوعُ للفَرِّيسيِّينَ حَسْبَ مَا جَاءَ في الأصْحاحِ العَاشِرِ مِنْ إنْجيلِ يُوحَنَّا والعَدَدِ الأوَّل:

«اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ الَّذِي لاَ يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ إِلَى حَظِيرَةِ الْخِرَافِ، بَلْ يَطْلَعُ مِنْ مَوْضِعٍ آخَرَ، فَذَاكَ سَارِقٌ وَلِصٌّ.

وَقَدْ قَالَ يَسوعُ في العَدَدِ التَّاسِعِ مِنْ هَذا الأصْحاح: **''أنا هُوَ الباب''**. فَهُناكَ مَنْفَذٌ وَاحِدٌ فَقَطْ إلى حَظيرَةِ الخِراف. أمَّا إنْ حاوَلَ أحَدٌ أنْ يَقْفِزَ مِنْ فَوْق السِّياج أوْ أنْ يَتَسَلَّلَ إلى الحَظيرَةِ بِطَريقَةٍ أُخرى، فَهُوَ يَفْعَلُ مَا يَفْعَلُهُ السَّارِقونَ وَاللُّصوص. وَإنْ حاوَلْتَ عَزيزي المُسْتَمِع أنْ تَدْخُلَ مَلَكوتَ السَّماواتِ مِنْ خِلالِ أعْمالِكَ الحَسَنَة، أوْ مِنْ خِلالِ تَدَيُّنِكَ، فَلَنْ تُفْلِحَ في ذَلِك. فَقَدْ قالَ يَسوعُ في إنْجيل يُوحَنَّا 14: 6: **''أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي''**

وَمَعَ أنَّ بَعْضَ الحَظائِرِ كانَتْ تُجَهَّزُ بِبابٍ حَصينٍ يَتِمُّ إغْلاقُهُ بِإحْكامٍ في اللَّيْل، فَإنَّ بَعْضَ الحَظائِرِ كانَتْ بِلا باب. فَقَدْ كَانَتِ الحَظائِرُ مِنْ هَذا النَّوْعِ تُقامُ في سُفوحِ الجِبال. وَكانَتْ مُجَرَّدَ مِساحاتٍ مَكْشوفَةٍ مُسَوَّرَةٍ بأسْوارٍ بِها فُتْحَةٌ تَدْخُلُ مِنْها الخِرافُ لِتَبيتَ في اللَّيْلِ وَتَخْرُجَ مِنْها في الصَّباح. وَفي سَاعاتِ اللَّيْل، كانَ الرَّاعي يَنامُ في مَدْخَلِ الحَظيرَةِ. وَبِذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ بِإمْكانِ أيِّ خَروفٍ أنْ يَخْرُجَ مِنَ الحَظيرَةِ إلَّا بالدَّوْسِ فَوْقَ جَسَدِ الرَّاعي. كَذَلِكَ، لا يُمْكِنُ لأيِّ حَيَوانٍ مُفْتَرِسٍ أوْ لِصٍّ أنْ يَدْخُلَ الحظيرَةَ إلَّا إنْ داسَ على جَسَدِ الرَّاعي. وبِهَذا المَعْنى، كَانَ الرَّاعي هُوَ بابُ الخِراف. وَهَذا هُوَ المَعنى الذي قَصَدَهُ الربُّ يَسوعُ عِنْدَما قالَ عَنْ نَفْسِهِ إنَّهُ ''بابُ الخِراف''.

وَيُتابِعُ يَسوعُ كَلامَهُ فَيَقولُ في إنْجيلِ يُوحَنَّا 10: 2 و 3:

وَأَمَّا الَّذِي يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ فَهُوَ رَاعِي الْخِرَافِ. لِهذَا يَفْتَحُ الْبَوَّابُ، وَالْخِرَافُ تَسْمَعُ صَوْتَهُ، فَيَدْعُو خِرَافَهُ الْخَاصَّةَ بِأَسْمَاءٍ وَيُخْرِجُهَا.

فَالرَّاعي يَقودُ الخِرافَ في المَساءِ إلى الحَظيرَةِ لِحمايَتِها مِنَ الأخْطارِ المُحْدِقَةِ بِها؛ أيْ مِنَ اللُّصوصِ وَالحَيَواناتِ المُفْتَرِسَة. وفي الصَّباحِ، فَهُوَ (أي الرَّاعي) يَقِفُ بِبابِ الحَظيرَةِ وَيُنادي الخِرافَ. وَفي العَادَةِ، فَإنَّ الخِرافَ تَعْرِفُ صَوْتَ الرَّاعي فَتَتْبَعُهُ. لِذلِكَ، حَتَّى لَوْ حَاوَلَ أحَدٌ تَقْليدَ صَوْتِ الرَّاعي، فَإنَّ الخِرافَ لَنْ تَتْبَعَهُ. فَهِيَ تَعْرِفُ صَوْتَ الرَّاعي جَيِّدًا. وَهِيَ لا تَسْتَجيبُ إلَّا لَهُ. وَهُناكَ دَوْمًا رُعاةٌ يُطْلِقونَ أسْماءً على خِرافِهِمْ وَيُنادونَها بأسْمائِها! لِذلِكَ، فَقَدْ قالَ يَسوعُ: **"وَالْخِرَافُ تَسْمَعُ صَوْتَهُ، فَيَدْعُو خِرَافَهُ الْخَاصَّةَ بِأَسْمَاءٍ وَيُخْرِجُهَا"**.

وَيا لَها مِنْ صُوْرَةٍ حَيَّةٍ رسَمَها يَسوعُ لِسامِعيهِ الذينَ اعْتادُوا على وُجودِ الرُّعاةِ وَقُطْعانِ المَاشِيَةِ مِنْ حَوْلِهِمْ. فَمَعَ أنَّنا لَسْنا مُعْتادينَ على رُؤيةِ الرُّعاةِ وَالمَواشي في المُدُنِ، فَإنَّ أهْلَ القُرى والأرْيافِ مُعْتادونَ على رُؤيَةِ هَذا المَشْهَدِ كُلَّ يَوْم!

وَكَما أنَّ الخِرافَ تُمَيِّزُ صَوْتَ رَاعيها وَتَتْبَعُهُ، فَإنَّ النَّاسَ جَميعًا يَنْقَسِمونَ إلى فِئَتَيْن: الأولى هِيَ التي تَعْرِفُ صَوْتَ رَاعِيها يَسوعَ المَسيحِ فَتَتْبَعُهُ؛ وَالثَّانِيَة هِيَ التي لا تَعْرِفُ صَوْتَ رَاعيها وَلا تَتْبَعُه. وَمَعَ أنَّ الخِرافَ قَدْ تَبْدو مُتَشابِهَةً في نَظَرِنا، فَإنَّ الرَّاعي يَعْرِفُ كُلَّ خَروفٍ في قَطيعِهِ. بَلْ رُبَّما يَدْعو كُلَّ خَروفٍ باسْمِهِ. وَعلى نَحْوٍ مُشابِهٍ، فَإنَّ الربَّ يَسوعَ يَعْرِفُ كُلًّا مِنَّا حَقَّ المَعْرِفَةِ، وَيَعْرِفُ كُلَّ شَيءٍ عَنَّا، وَيَدْعو كُلًّا مِنَّا باسْمِهِ. وَإنْ كُنَّا أولادًا للربِّ، فَلا شَكَّ أنَّنا سَنَتَمَكَّنُ مِنْ تَمييزِ صَوْتِهِ!

وَيُكْمِلُ يَسوعُ حَديثَهُ عَنِ الرَّاعي الصَّالِحِ فَيَقولُ في العَدَدِ الرَّابِع:

وَمَتَى أَخْرَجَ خِرَافَهُ الْخَاصَّةَ يَذْهَبُ أَمَامَهَا، وَالْخِرَافُ تَتْبَعُهُ، لأَنَّهَا تَعْرِفُ صَوْتَهُ.

إذًا، فالرَّاعي الصَّالِحُ يُخْرِجُ خِرافَهُ مِنَ الحَظيرَةِ وَيَمْشي أمامَها. ولأنَّ خِرافَهُ تَعْرِفُ صَوْتَهُ، فَهِيَ تَتْبَعُهُ أيْنَما ذَهَب. أمَّا الخِرافُ التي لا تَعْرِفُ صَوْتَهُ فَهِيَ لا تَتْبَعُهُ. وَالآنْ، كَيْفَ تَعْرِفُ أنَّكَ مِنْ خِرافِ الرَّاعي الصَّالِح؟ إنْ كُنْتَ، صَديقي المُسْتَمِع، قَدِ اسْتَجَبْتَ لِنِدائِهِ، فَهَذا يَعني أنَّكَ مِنْ قَطيعِهِ.

لَكِنْ مَاذا عَنِ الخِرافِ الأُخرى؟ لَقَدْ قالَ يَسوعُ في العَدَدِ الخَامِس:

وَأَمَّا الْغَرِيبُ فَلاَ تَتْبَعُهُ بَلْ تَهْرُبُ مِنْهُ، لأَنَّهَا لاَ تَعْرِفُ صَوْتَ الْغُرَبَاءِ».

فَكَما ذَكَرْنا قَبْلَ قَليلٍ، فَإنَّ الخِرافَ الغَريبَة لا تَتْبَعُ الرَّاعي، بَلْ تَهْرُبُ مِنْهُ! لِماذا؟ لأنَّها لا تَعْرِفُ صَوْتَهُ، وَلأنَّها اعْتادَتْ عَلى سَماعِ صَوْتٍ آخَر، وَلأنَّ صَوْتَهُ غَريبٌ بالنِّسْبَةِ إليها. وهَذا هُوَ مَا يَفْعَلُهُ أُناسٌ كَثيرونَ عِنْدَما يَسْمَعونَ رِسالَةَ الخَلاصِ بيسوعَ المَسيح. فَبَدَلًا مِنْ أنْ يَأتوا إلى الربِّ تائِبينَ وَيُسَلِّموا قُلوبَهُمْ وَحياتَهُمْ لَهُ، فَإنَّهُمْ يُديرونَ ظُهورَهُمْ لَهُ وَيَبْتَعِدونَ عَنْهُ هَارِبين!

ثُمَّ نَقْرَأُ في العَدَدِ السَّادِس:

هذَا الْمَثَلُ قَالَهُ لَهُمْ يَسُوعُ، وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يَفْهَمُوا مَا هُوَ الَّذِي كَانَ يُكَلِّمُهُمْ بِهِ.

فَمَعَ أنَّ المَثَلَ بَسيطٌ وَسَهْلٌ جِدًّا وَيُمْكِنُ لأيِّ شَخْصٍ أنْ يَفْهَمَهُ، فَإنَّ الفَرِّيسيِّينَ لَمْ يَفْهَموا الكَلامَ الذي كَلَّمَهُمْ بِهِ يَسوع! وَلا عَجَبَ في ذَلِكَ! فَلَوْ كَانُوا خِرافًا حَقيقيِّينَ، لَسَمِعوا صَوْتَهُ وَتَبِعوه. لَكِنَّهُمْ لَمْ يَكونوا كَذَلِكَ، بَلْ كَانُوا غُرَباء! لِذَلِكَ، فَقَدْ قالَ لَهُمْ يَسوعُ مُوَضِّحًا في العَدَدَيْنِ السَّابِع وَالثَّامِن:

«الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي أَنَا بَابُ الْخِرَافِ. جَمِيعُ الَّذِينَ أَتَوْا قَبْلِي هُمْ سُرَّاقٌ وَلُصُوصٌ، وَلكِنَّ الْخِرَافَ لَمْ تَسْمَعْ لَهُمْ.

ولا شَكَّ أنَّ يَسوعَ لَمْ يَكُنْ يُشيرُ هُنا إلى مُوسى وَإيليَّا وَالأنبياءِ الذينَ سَبَقوه، بَلْ كَانَ يُشيرُ إلى الأنْظِمَةِ الدِّينيَّةِ التي ابْتَدَعَها البَشَرُ كَبَديلٍ عَنِ العَلاقَةِ وَالشَّرِكَةِ مَعَ اللهِ الحَيِّ. فَقَدْ كَانَ الإنْسانُ وما زالَ يُحاوِلُ الوُصولَ إلى اللهِ مِنْ خِلالِ التَّدَيُّنِ، وَمِنْ خِلالِ الأعْمالِ الصَّالِحَةِ، وَمِنْ خِلالِ التَّظاهُرِ بالتَّقوى. وَقَدْ كَانَ يَسوعُ يُشيرُ هُنا إلى الفَرِّيسيِّينَ الذينَ حَاوَلُوا أنْ يَظْهَروا بِمَظْهَرِ الرُّعاةِ الصَّالِحينَ للشَّعْبِ، لَكِنَّهُمْ أخْفَقوا في ذَلِكَ بِسَبَبِ رِيائِهِمْ. وَقَدْ بَدا ذَلِكَ وَاضِحًا لأنَّ الخِرافَ المُخْتارَةَ لَمْ تَسْمَعْ لَهُم.

وَيُتابِعُ يَسوعُ حَديثَهُ قَائِلًا في العَدَدِ التَّاسِع:

أَنَا هُوَ الْبَابُ. إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصُ وَيَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَجِدُ مَرْعًى.

لَقَدْ قالَ يَسوعُ للفَرِّيسيِّين بوضوحٍ تَامٍّ إنَّهُ هُوَ الباب. فَلا يُمْكِنُ لِنِظامِهِمِ الدينيِّ أنْ يُخَلِّصَهُمْ. وَلا يُمْكِنُ لأيِّ نِظامٍ بَشَرِيٍّ أنْ يُنْقِذَهُمْ مِنَ الدَّيْنونَةِ القادِمَة. وَهَذا الكَلامُ مُوَجَّهٌ إلى النَّاسِ جَميعًا في كُلِّ زَمانٍ وَمَكانٍ على الأرْض. فَيَسوعُ هُوَ الطَّريقُ الوَحيدُ وَالبابُ الوَحيدُ للخَلاص.

وَيُكْمِلُ يَسوعُ حَديثَهُ قائِلًا في إنْجيل يُوحَنَّا 10: 10:

اَلسَّارِقُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ لِيَسْرِقَ وَيَذْبَحَ وَيُهْلِكَ، وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ.

فَهَذا هُوَ، صَديقي المُسْتَمِع، مَا تَفْعَلُهُ جَميعُ الأنْظِمَةِ الدِّينيَّةِ الزَّائِفَةِ. فَهِيَ تَسْرِقُ النَّاسَ، وَتَذْبَحُهُمْ، وَتَقودُهُمْ إلى الهَلاك. أمَّا يَسوعُ فَقَدْ أتى لِتَكونَ لَنا حَياة، وَلِيكونَ لَنا أفْضَل!

وَما أبْعَدَ الفَارِقَ بَيْنَ المَسيحيَّةِ الحَقَّةِ وَالأنْظِمَةِ الدِّينيَّةِ المُخْتَلِفَة. فالمَسيحيَّةُ الحَقيقيَّةُ لَيْسَتْ دِيانَةً. فالدِّياناتُ المُخْتَلِفَةُ التي نَراها ونَسْمَعُ عَنْها في العَالَمِ هِيَ مُحاوَلاتٌ يَقومُ بِها الإنْسانُ للوُصولِ إلى اللهِ الحَيِّ. وَإنْ أرَدْنا أنْ نَرْسِمَ رَسْمًا مُبَسَّطًا يُعَبِّرُ عَنِ الدِّين، فَيُمْكِنُنا أنْ نَرْسِمَ دائِرَةً تُمَثِّلُ الكُرَةَ الأرْضِيَّة، وَأنْ نَرْسِمَ فَوْقَها إنْسانًا رافِعًا يَدَيْهِ إلى فَوْق مُحاوِلًا الوُصولَ إلى اللهِ. وَرُبَّما كانَ مِنَ الأفْضَلِ أنْ نَرْسِمَ هَذا الشَّخْصَ وَهُوَ يَقِفُ على أطْرافِ أصابِعِ قَدَمَيْهِ في مُحاوَلَةٍ يائِسَةٍ للوُصولِ إلى

السَّماءِ، أوِ الأبَدِيَّةِ، أوِ اللهِ! أجَلْ يا صَديقي! فالأنْظِمَةُ الدِّينيَّةُ جَميعُها هِيَ مُجَرَّدُ مُحاوَلَةٍ مِنَ الإنْسانِ لِبِناءِ جِسْرٍ يَقودُهُ إلى الله. لَكِنْ بالرَّغْمِ مِنْ كُلِّ مُحاوَلاتِ الإنْسانِ لِبِناءِ جِسْرٍ كَهَذا، لا يُمْكِنُ لأيِّ جِسْرٍ أنْ يَصِلَ بَيْنَ المَحْدودِ وَاللَّامَحْدود!

أمَّا إنْ أرَدْنا أنْ نُعَبِّرَ عَنِ المَسيحيَّةِ الحَقَّةِ، فَيُمْكِنُنا أنْ نَرْسِمَ دائِرَةً تُمَثِّلُ الكُرَةَ الأرْضِيَّةَ. ثُمَّ يُمْكِنُنا أنْ نَرْسِمَ يَدَيْنِ مُنْبَثِقَتَيْنِ مِنَ السَّماءِ وَمُتَّجِهَتَيْنِ نَحْوَ الإنْسانِ المِسْكينِ الذي يَعيشُ على الأرْضِ. فالمَسيحيَّةُ الحَقيقيَّةُ هِيَ مُحاوَلَةُ اللهِ العَلِيِّ للوُصولِ إلى الإنْسان!

وَلَعَلَّكَ قَرَأتَ، عَزيزي المُسْتَمِع، قِصَّةَ يَعْقوب في العَهْدِ القَديم. فَفي وَقْتٍ مِنَ الأوقاتِ، فَرَّ يَعْقوبُ هارِبًا مِنْ أخيهِ عِيْسو. وَنَقْرَأُ في الأصْحاحِ الثَّامِنِ وَالعِشْرينَ مِنْ سِفْرِ التَّكوين: ''**فَخَرَجَ يَعْقُوبُ مِنْ بِئْرِ سَبْعٍ وَذَهَبَ نَحْوَ حَارَانَ. وَصَادَفَ مَكَانًا وَبَاتَ هُنَاكَ لأَنَّ الشَّمْسَ كَانَتْ قَدْ غَابَتْ، وَأَخَذَ مِنْ حِجَارَةِ الْمَكَانِ وَوَضَعَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ، فَاضْطَجَعَ فِي ذلِكَ الْمَكَانِ. وَرَأَى حُلْمًا، وَإِذَا سُلَّمٌ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الأَرْضِ وَرَأْسُهَا يَمَسُّ السَّمَاءَ، وَهُوَذَا مَلاَئِكَةُ اللهِ صَاعِدَةٌ وَنَازِلَةٌ عَلَيْهَا. وَهُوَذَا الرَّبُّ وَاقِفٌ عَلَيْهَا، فَقَالَ: «أَنَا الرَّبُّ إِلهُ إِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ. الأَرْضُ الَّتِي أَنْتَ مُضْطَجِعٌ عَلَيْهَا أُعْطِيهَا لَكَ وَلِنَسْلِكَ. وَيَكُونُ نَسْلُكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ، وَتَمْتَدُّ غَرْبًا وَشَرْقًا وَشَمَالاً وَجَنُوبًا، وَيَتَبَارَكُ فِيكَ وَفِي نَسْلِكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ. وَهَا أَنَا مَعَكَ، وَأَحْفَظُكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ، وَأَرُدُّكَ إِلَى هذِهِ الأَرْضِ، لأَنِّي لاَ أَتْرُكُكَ حَتَّى أَفْعَلَ مَا كَلَّمْتُكَ بِهِ». فَاسْتَيْقَظَ يَعْقُوبُ مِنْ نَوْمِهِ وَقَالَ: «حَقًّا إِنَّ الرَّبَّ فِي هذَا الْمَكَانِ وَأَنَا لَمْ أَعْلَمْ!»**''.

وَفي الحَقيقَةِ أنَّ الدِّيْنَ يُحاوِلُ أنْ يَبْني هَذا السُّلَّمَ مِنَ الأرْضِ وُصولًا إلى السَّماءِ. فالإنْسانُ المَحْدودُ يُحاوِلُ الوُصولَ إلى اللهِ غَيْرِ المَحْدود. أمَّا في المَسيحيَّةِ بِمَعْناها الحَقيقيِّ فَإنَّ اللهَ غَيْرَ المَحْدودِ هُوَ الذي يُحاوِلُ الوُصولَ إلى الإنْسانِ المَحْدود. وَقَدْ قَالَ يَسوعُ لِنَتَنائيل في إنْجيل يوحَنَّا 1: 50 51: ''**هَلْ آمَنْتَ لأَنِّي قُلْتُ لَكَ إِنِّي رَأَيْتُكَ تَحْتَ التِّينَةِ؟ سَوْفَ تَرَى أَعْظَمَ مِنْ هذَا! ... الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الآنَ تَرَوْنَ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَمَلاَئِكَةَ اللهِ يَصْعَدُونَ وَيَنْزِلُونَ عَلَى ابْنِ الإِنْسَانِ**''.

وَلَكِنْ مَا الذي قَصَدَهُ يَسوعُ هُنا؟ لَقَدْ قَصَدَ أنَّهُ هُوَ سُلَّمُ يَعْقوب! فَهُوَ الطَّريقُ الوَحيدُ المُؤدِّي إلى اللهِ الآب. وَكَأنَّ يَسوعَ يَقولُ لَنا هُنا: ''سَوْفَ تَرَوْنَ السَّماءَ مَفْتوحَةً لأنَّ اللهَ هُوَ الذي يُحاوِلُ الوُصولَ إلى الإنْسان، وَلأنَّهُ هُوَ الذي أنْزَلَ هَذا السُّلَّمَ مِنَ السَّماءِ إلى الأرْض. وَأنا هُوَ هَذا السُّلَّم الذي يُمْكِنُ للإنْسانِ مِنْ خِلالِهِ أنْ يَصِلَ إلى اللهِ الآب''.

إذًا، هَذا هُوَ الفَرْقُ الجَوْهَريُّ بَيْنَ المَسيحيَّةِ الحَقيقيَّةِ وَجميعِ دِياناتِ العالَم! فالأنْظِمَةُ الدِّينيَّةُ الزَّائِفَةُ تَسْرِقُ النَّاسَ، وَتَذْبَحُهُمْ، وَتُهْلِكُهُمْ. أمَّا السيِّدُ المَسيحُ فَقالَ عَنْ نَفْسِهِ: ''**وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ!**''.

[الخاتمة]

(مُقَدِّم البرنامج)

يُخْبِرُنا الكِتابُ المُقَدَّسُ أنَّ اللهَ هُوَ وَاهِبُ الحَياة. وَكَما قَرَأنا في الأصْحاحِ العَاشِرِ مِنْ إنْجيلِ يُوحَنَّا، فَإنَّ يَسوعَ المَسيحَ هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ الذي يَبْذِلُ نَفْسَهُ عَنْ خِرافِهِ. وَكَما عَلَّمنا الرَّاعي ''تشك سميث'' اليومَ، لا يُمْكِنُ لِعَدُوٍّ نُفوسِنا أنْ يَقْطَعَ هَذا الوَعْدَ لَنا، وَلا أنْ يَلْتَزِمَ بِتَنْفيذِهِ.

(مُقَدِّم الحَلْقَة)

في الحَلْقَةِ القادِمَةِ مِنْ بَرْنامَج ''الكَلِمَة لِهَذا اليَوم''، سَوْفَ يُتابِعُ الرَّاعي ''تْشَك سميث'' دِراسَتَهُ وَتَأمُّلَهُ في إنْجيلِ يُوحَنَّا مُرَكِّزًا على عَلاقَتِنا بالرَّاعي الصَّالِح. لِذَلِكَ، أرْجو، صَديقي المُسْتَمِع، أنْ تَكونَ بِرِفْقَتِنا وَأنْ تُصْغي إلينا في المَرَّةِ القادِمَة.

وَالآنْ، نَتْرُكُكُمْ، أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعينَ، مَعْ كَلِمَةٍ خِتاميَّة.

[كَلِمَة خِتاميَّة]
(الرَّاعي تْشَك سميث)

يَجِبُ عَلَيْكَ أنْ تُدْرِكَ أنَّ اللهَ يُحَمِّلُكَ مَسؤولِيَّةَ المَعْرِفَةِ التي لَدَيْكَ. فالمَعْرِفَةُ تُنْشِئُ مَسؤولِيَّةً أمامَ اللهِ القُدُّوس. وَكُلَّما زادَتْ مَعْرِفَتُكَ، زَادَتْ مَسؤولِيَّتُكَ أمامَ اللهِ الحَيِّ. وَإنْ لَمْ تَتَصَرَّفْ وَفْقًا لِتِلْكَ المَعْرِفَةِ التي لَدَيْكِ، سَيَكونُ العِقابُ أشَدَّ وَأقْسى! لِذَلِكَ، لَيْتَ الربَّ الإلَهَ يُعْطينا جَميعًا أنْ نَكونَ عامِلينَ بالكَلِمَةِ دائِمًا وَأبَدًا. آمين!